

الفوضى الليبية وبؤس السياسة الأميركية

■ حميدي العبدالله

في خطابه عن حال الاتحاد في شهر كانون الثاني الماضي وقف الرئيس الأميركي بباراك أوباما مخاطباً الكونغرس والراي العام الأميركي عن نجاحات سياسته الخارجية، وتحدث عن ليبيا بوصفها قصة نجاح يُحتذى بها وتمثل مؤشراً على حسن ما قامت به الإدارة الأميركية في هذا البلد.

ولكن هل تمثل فعلاً ليبيا قصة نجاح، كما زعم الرئيس الأميركي، ليس من وجهة نظر الشعب الليبي ومدى تحقيق طموحاته وآماله وصيانة مصالحه وحقوقه الأساسية، بل حتى من وجهة نظر أميركية، ومدى تحقيق المصالح الأميركية في

ضوء الوضع القائم الآن في ليبيا؟

ما يجري في ليبيا الآن يتسم بالآتي:

انتشار واسع للإرهاب غطى كل أنحاء البلاد من شمالها إلى جنوبها، ومن شرقها إلى غربها، إرهاب يستهدف المواطنين الأمنيين، كما الرموز العاملة في عتبات الدولة الجديدي.

تقسيم البلاد إلى أقاليم ومقاطعات تجاوزت التقسيم الذي كان سائداً في عهد الاستعمار، بل إن كل مدينة باتت تمثل كياناً سياسياً قائماً بذاته، وتتنازع هذه الكيانات في ما بينها، وخاضت وتخوض معارك طاحنة للاستيلاء على الموارد، ذهب ضحيتها مئات، بل آلاف الضحايا.

فوضى مسلحة تعم البلاد من أقصاها إلى أقصاها، والكلمة الأولى والأخيرة ليس للهيئات المنتخبة، بل لحلمة السلاح الذين ما برحوا يحاصرون المجلس التشريعي ويفرضون عليه ما يشاؤون، وهرب رئيس حكومة جرت التوافق عليه بين المكونات السياسية والحزبية المشاركة في المجلس التشريعي، واعتذر رئيس حكومة آخر بسبب ما تعرّض له من تهديد، وهو رئيس الحكومة الحالي الذي لم يكمل مهمته بتشكيل حكومة جديدة.

استيلاء بقوة السلاح على ثروة البلاد النفطية،

عبر هذا التحليل السياسي وفي ضوء حالة الدفع التاريخي الحاد السائدة في العالم اليوم، سأحاول أن أجمع وأكتف في حوصل، كما من المعلومات، فحنح لا نتجّم ولا نقتحم علم المستقبليات الذي يعتمد نظريات فلسفة التاريخ عندما نبحث شكل العالم القادم بعد ضمّ القرم، بل لأننا أمام بالطا جديدة أنهت يالطا القديمة، والفاعل الوحيد والأوحد في التاريخ وحركته وفي صناعة المستقبل هو الله سبحانه وتعالى، وللناس والجنّ مجرد أدوات يستعملها الخالق سبحانه لتحقيق التوازن في هذا العالم وعبر التدافع.

أسبب واعتقد أنّ أوكرانيا أولوية أميركية أولى، وهي إنتاج الحدث السوري، وإيران أولوية ثانية، وهي الحلقة المستهدفة استراتيجياً عبر الحلقة السورية، والملف الفلسطيني أولوية ثالثة، والملف السوري عامة أولوية رابعة رغم الشعور الغربي بقلق شديد نتيجة ارتفاع أسهم إجراءات الانتخابات الرئاسية السورية في وقتها، وبفضل تحوّل الميدان العسكري السوري لمصلحة دمشق، والرسالة وصلت إلى الرياض عبر أوباما مباشرة، وخضع الجيش السوري لإعادة هيكلية ميدانية عميقة وسيكولوجية بالغة الأهمية على مدار الأزمة السورية، وتعمل واشنطن على المتابعة، وعلى احتواء نتائج ضمّ القرم على المنظومة الدولية، بحيث لا يتمدّد النفوذ الروسي سريعاً في دول حدائقه الخلفية ذات المجال الحيوي للأمن القومي الروسي. وثمة قراءة أميركية في تفسير نبرة الرئيس محمود عباس (أبو مازن) الأخيرة، إذ وجدت فيها واشنطن إشارات تدخل روسي واضح في إعادة إحياء اللجنة الرباعية، بينما تريد أميركا جعلها بيدها وحدها، ويعيدا عن مسوك في الداخل الرباعي الدولي الراعي للمفاوضات، كذلك بعيداً عن

موسكو خارج الرباعي الدولي.

كلما ارتفعت، في تقاعم عميق، حدّة الكباش الروسي. الأميركي، ازدادت حرارة التدمير الممنهج في سورية وتوسّعت رقعة الإرهاب في المنطقة، وتوسع رقعة الإرهاب في الشرق الساخن وقلبه سورية، قد تغير وتبدّل المعادلات كافة وتقلب الطاولة على رأس الجميع، وهذا يدفغ واشنطن إلى حالة من المجاهرة والإعلان عما صارت تقبله ضمناً، وهو بقاء الرئيس الأسد ونسقه السياسي، شرط ضرب الإرهاب الأممي في المنطقة والعالم.

سلّة من الضغوط

هناك في المقابل طرف أميركي فاعل وصقريّ يتصل بحبل سرّي بالبلديربيرغ الأميركي يقوم بأدوار خطيرة تنشي بأننا أمام المرحلة الثانية من الحرب في سورية وعليها، لتحسين شروط التفاوض الأميركي الغربي وبعض العربي المرتهن أمام المحور المانع والمضاد، وهناك أكثر من سلّة ضغوط مقبلة على الأردن لمزيد من توريطة في الحدث السوري ولتقلل الفوضى إليه وجهه مثل استنفجة تمكك مخرجات المفاوضات الفلسطينية. «الإسرائيلية» العبثية، فذهب الملصك إلى جانب أسباب أخرى ثنائية وإقليمية سنأتى على ذكرها لاحقاً، مع استمرار الرياض في صنع الطبخة الكبرى ذات الرائحة التي تزكم الأنوف.

ثمّة في الدولة الأردنية، بمؤسّساتها المختلفة وعلى رأسها الملك، إدراك لحركة التاريخ في الجغرافيا الثابتة وعليها، وإدراك لقاعدة الدفع التاريخي الحاد (الاحتكام والامتنال لتفاحة العولمة والتجارة الدولية ونسج المصالح وتهيئة أسباب تعظيم المكاسب وتحويل الأخطار إلى فرص)، ويدرك أنّ العالم بعد ضمّ القرم قد عودتهالى حضن أمها الرؤوم ليس كالعالم قبل الضمّ، والمردة الأولى بعد الحرب العالمية الثانية تتغيّر الحدود الدولية، ويمتدّ هذا الإدراك إلى أن الصراع الآن في العالم هو صراع بين مفهوم احترام مبادئ الأخلاق التقليدية في السياسة الدولية والاحترام العميق للقانون الدولي، وهذا المفهوم المتصاعد تبتناه نواة الدولة الروسية، مقابل مفهوم تصنيف الدول في العالم بين محور الخير ومحور الشر، وتبتناه هذه الدولة الولايات المتحدة المختلفة لتبرير عدوانتها للشعوب المستضعفة. إذ فقدت القدرة على التأثير الجدي والحقيقي في خصومها وحلفائها، وهي كما وصفها الإعلام المضاد للمحور الأميركي الغربي وبعض العربي المرتهن والتابع، مثل لاعب كرة القدم الذي وصل إلى سنّ متقدمة، فصار يلعب بخبثه لا بقدرته على المناورة والمراوغَة.

يلطخ العالم أجمع الفرق بين النموذج الروسي العاقوة دولية عظمي، والنموذج الأميركي الذي استنفذ مخزونه من الكذب وقواميس الإفراء والمغدر والاستكبار والاحتقار والخديعة والإجرام، باسم الواقع السياسي الانتهازية وعبر المكارثيين الجدد في الإدارة الأميركية، صدى المجتمع الصناعي الحربي وصدى البلديربيرغ الأميركي ونواة حكومة الأممية، إذ أخرجت واشنطن موسكو من مجموعة المماني الدولية G8، لتعود الأخيرة إلى صفتها الإمبريالية G7 بدول سبع، كما أنهت أشكال التعاون العسكري والمدني كافة مع موسكو بما فيها مكافحة الإرهاب ومكافحة المخدرات ومكافحة الإجتراب بالبنشر، وأبقت على التعاون بين روسياً وناتو في الملف الأفغاني، بهدف تأمين بعض انسحابات القوّات الأميركية وناتو من أفغانستان في نهاية هذا العام، إنّ صدقت النوايا.

إن دلّ ذلك على شيء فإنما على مدى انتهازية واشنطن، فهي تلغي ما يناسبها وتبقى ما يتفق وسحالها الأنية الضيقة. إنها دولة تعاني النرجسية والسوبر إيفو، وصرار نفوذها المعنوي يتراجع بسبب مواقفها السياسية وتدخلاتها الأمنية غير الأخلاقية. مع ذلك أعطتها الفدرالية الروسية درسا في الأخلاق السياسية، إذ اعتبرت موسكو مسألة الانسحاب

البناء

المطلوب إصلاح النظام السياسي الفلسطيني وطنياً وديمقراطياً

■ رامز مصطفى

من دون الخوض كثيراً في أزمة النظام السياسي الفلسطيني، الذي بلغ حد الاهتراء في الشلل والعجز كعبرَ عن مكونات الشعب الفلسطيني كلها، فإنّ ذاتها معطلة مؤسّساتها التشريعية والرئاسية التي تجاوزت سقفها الدستورية لكل من انتخابات المجلس التشريعي المنقرط عقده أصلاً بسبب الانقسام ووجود حكومتين، واحدة في الضفة الغربية والثانية في قطاع غزة، وانتخابات رئاسة السلطة. وبهذا المعنى فإنّ النظام السياسي الفلسطيني دستورياً وقانونياً غير شرعي، وهو موجود اليوم بحكم الأمر الواقع ووضع اليد، أي بالهيمنة، إن لم نقل بالسلطة. فضلا عن أنّ هذا النظام يُدار منذ زمن عقود حتى اليوم بطريقة القائد أو الزعيم، لا بطريقة عمل المؤسّسات والقيادة الجماعية التي يحكم أعمالها القانون والدستور والنظم واللوائح. إذ تشكل في كنف المنظمة والسلطة على حد سواء جيش من المتنعّين والمستقّدين والمسحوبين والمتحكّمين، ولم يكن ينقص النظام السياسي الفلسطيني إلا ما تعانيه الساحة الفلسطينية من انقسام وطني حاد لم يسبق له مثيل منذ عام 2007، فالسلطة سلطتان وحكومتان، والتشريعيان، والرعية تحت وصاية سلطات ثلاث، واحدة لسلطة حكومة الاحتلال، وثانية لسلطة حكومة فتح في الضفة، وثالثة لسلطة حكومة حماس في القطاع. وإذا كان هناك من يعتبر أنّ المنظمة والسلطة هما الدعائم الأساسيتان في الدولة الفلسطينية العتيدة، فعلى أي شاكلة ستكون هذه الدولة الموعودة في ظل نظام سياسي متهاكل في مؤسّساته كلها. هذا إذا أبقى الكيان أصلاً لها مكانا في التوحيد والاستيطان المستشريين فوق الأرض الفلسطينية المحتلة.

في ظل استنكاف المفاوضات منذ آب الفأث، ووصولها إلى أفق مقفل تماماً بسبب حكومة نتنياهو وسياساتها العدوانية وإصرارها على فرض رؤيتها للحل مع السلطة في ما يتعلق بالعناوين المطروحة، والامتناع عن إطلاق سراح الدفعة الرابعة من

هو ما يعانيه هذا النظام في مستوييه، الأول تعطيل مؤسّسات منظمة التحرير الفلسطينية بمجلسها الوطني والمركزي ولجنتها التنفيذية والتي شاخت وعفا عليها الزمن. والثاني السلطة الفلسطينية ذاتها معطلة مؤسّساتها التشريعية والرئاسية التي تجاوزت سقفها الدستورية لكل من انتخابات المجلس التشريعي المنقرط عقده أصلاً بسبب الانقسام ووجود حكومتين، واحدة في الضفة الغربية والثانية في قطاع غزة، وانتخابات رئاسة السلطة. وبهذا المعنى فإنّ النظام السياسي الفلسطيني دستورياً وقانونياً غير شرعي، وهو موجود اليوم بحكم الأمر الواقع ووضع اليد، أي بالهيمنة، إن لم نقل بالسلطة. فضلا عن أنّ هذا النظام يُدار منذ زمن عقود حتى اليوم بطريقة القائد أو الزعيم، لا بطريقة عمل المؤسّسات والقيادة الجماعية التي يحكم أعمالها القانون والدستور والنظم واللوائح. إذ تشكل في كنف المنظمة والسلطة على حد سواء جيش من المتنعّين والمستقّدين والمسحوبين والمتحكّمين، ولم يكن ينقص النظام السياسي الفلسطيني إلا ما تعانيه الساحة الفلسطينية من انقسام وطني حاد لم يسبق له مثيل منذ عام 2007، فالسلطة سلطتان وحكومتان، والتشريعيان، والرعية تحت وصاية سلطات ثلاث، واحدة لسلطة حكومة الاحتلال، وثانية لسلطة حكومة فتح في الضفة، وثالثة لسلطة حكومة حماس في القطاع. وإذا كان هناك من يعتبر أنّ المنظمة والسلطة هما الدعائم الأساسيتان في الدولة الفلسطينية العتيدة، فعلى أي شاكلة ستكون هذه الدولة الموعودة في ظل نظام سياسي متهاكل في مؤسّساته كلها. هذا إذا أبقى الكيان أصلاً لها مكانا في التوحيد والاستيطان المستشريين فوق الأرض الفلسطينية المحتلة.

في ظل استنكاف المفاوضات منذ آب الفأث، ووصولها إلى أفق مقفل تماماً بسبب حكومة نتنياهو وسياساتها العدوانية وإصرارها على فرض رؤيتها للحل مع السلطة في ما يتعلق بالعناوين المطروحة، والامتناع عن إطلاق سراح الدفعة الرابعة من

الإدراك الملكي لحركة التاريخ في الجغرافيا الثابتة يقود إلى زيارة موسكو... وقريبا سورية!

■ محمد أحمد الروسان*

تعود روسيا إلى منطقة شرق المتوسط، لعلّ الفراغ الذي خلّفه انهيار الاتحاد السوفياتي، وردع النفوذ الأميركي في المنطقة عن طريق التأكيد على أنّ أميركا لن يكون في وسعها الإنفراد الكامل بممارسة النفوذ على المنطقة، وردع «الإسرائيليين» عن مغبة اعتماد استخدام القوّة الغاشمة المرفوضة، ودبلوماسية العمل من طرف واحد عن طريق وضع «الإسرائيليين» أمام روادع على النحو الآتي:

موسكو لابع دولي مؤثر في الساحة الأممية، لأنّ لها دوراً كبيراً في إدارة الصراع الدولي الدبلوماسي في مجلس الأمن الدولي واللجنة الرباعية، وموسكو قادرة على تعزيز قوّة الأطراف الأخرى وإعادة نظام سباق التسلح الذي سبق أن شهدته النفوذ التقليدية لدبلوماسية الاتحاد السوفياتي السابق، من خلال التخلي عن العامل الأيديولوجي والتركيز على عامل المصالح الاستراتيجية في المقام الأول، مطحولا على ما يمكن أن توفره موسكو بفضل موقعها كقوّة عظمى ذات دور رئيسي في مجلس الأمن الدولي وفي الرباعية الدولية للسلام في الشرق الأوسط، رغم أنّ ملف السلام أضفى ملفاً «إسرائيلياً» داخليا تنهيه الأخيرة مع الجانب الفلسطيني فحسب، ولم يعد ملفاً أميركياً رئيسياً مثلما ترّوج بعض وزارات الخارجية العربية.

وتتمّ عودة موسكو على الجبهة الدولية والجبهات الإقليمية الأخرى على أساس الإفادة من الصعوبات التي تعانيها الولايات المتحدة في العراق وأفغانستان وسورية ولبنان واليمن وإيران، ما يمنحها صك تواصل وافتتاح على تلك الأطراف التي لا تتعامل معها واشنطن، إذ تفيد موسكو وتوظف بؤر النزعات والملفات الساخنة لإسماع صوت مختلف عن الصوت الأميركي والغربي عامة، ما يجعلها مسوعة ومقبولة لدى الجانب العربي لوقوفه إلى جانب حقوقه المشروعة، وأقلا لإقامة دولته على الأراضي المحتلة لعام 1967 وعودة القدس الشرقية لتكون عاصمة تك الدولة وعودة اللاجئين والنازحين إليها، فورسيا اليوم لاعب ذريه وحقيقي وعادل في كواليس الصراع العربي – «الإسرائيلي»، وجوهره القضية الفلسطينية، كما هي لاعب ذريه وعادل وحقيقي في تداعيات ما يُسمّى «الربيع العربي»، وثورها الحقيقي والفاعل والمتصاعد في الحدث السوري، للحفاظ على الدولة السورية وعلى الأمن والسلام الدوليين.

والبحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط.

تحوّلت موسكو في عهد بوتين، لثلاث فترات رئاسية، إلى طرف نشيط يقدم مقترحات ويدافع عنها، فالدبلوماسية الروسية تسعى جاهدة وبثبات إلى استعادة مواقع النفوذ التقليدية لدبلوماسية الاتحاد السوفياتي السابق، من خلال التخلي عن العامل الأيديولوجي والتركيز على عامل المصالح الاستراتيجية في المقام الأول، مطحولا على ما يمكن أن توفره موسكو بفضل موقعها كقوّة عظمى ذات دور رئيسي في مجلس الأمن الدولي وفي الرباعية الدولية للسلام في الشرق الأوسط، رغم أنّ ملف السلام أضفى ملفاً «إسرائيلياً» داخليا تنهيه الأخيرة مع الجانب الفلسطيني فحسب، ولم يعد ملفاً أميركياً رئيسياً مثلما ترّوج بعض وزارات الخارجية العربية.

أساس الإفادة من الصعوبات التي تعانيها الولايات المتحدة في العراق وأفغانستان وسورية ولبنان واليمن وإيران، ما يمنحها صك تواصل وافتتاح على تلك الأطراف التي لا تتعامل معها واشنطن، إذ تفيد موسكو وتوظف بؤر النزعات والملفات الساخنة لإسماع صوت مختلف عن الصوت الأميركي والغربي عامة، ما يجعلها مسوعة ومقبولة لدى الجانب العربي لوقوفه إلى جانب حقوقه المشروعة، وأقلا لإقامة دولته على الأراضي المحتلة لعام 1967 وعودة القدس الشرقية لتكون عاصمة تك الدولة وعودة اللاجئين والنازحين إليها، فورسيا اليوم لاعب ذريه وحقيقي وعادل في كواليس الصراع العربي – «الإسرائيلي»، وجوهره القضية الفلسطينية، كما هي لاعب ذريه وعادل وحقيقي في تداعيات ما يُسمّى «الربيع العربي»، وثورها الحقيقي والفاعل والمتصاعد في الحدث السوري، للحفاظ على الدولة السورية وعلى الأمن والسلام الدوليين.

أساس الإفادة من الصعوبات التي تعانيها الولايات المتحدة في العراق وأفغانستان وسورية ولبنان واليمن وإيران، ما يمنحها صك تواصل وافتتاح على تلك الأطراف التي لا تتعامل معها واشنطن، إذ تفيد موسكو وتوظف بؤر النزعات والملفات الساخنة لإسماع صوت مختلف عن الصوت الأميركي والغربي عامة، ما يجعلها مسوعة ومقبولة لدى الجانب العربي لوقوفه إلى جانب حقوقه المشروعة، وأقلا لإقامة دولته على الأراضي المحتلة لعام 1967 وعودة القدس الشرقية لتكون عاصمة تك الدولة وعودة اللاجئين والنازحين إليها، فورسيا اليوم لاعب ذريه وحقيقي وعادل في كواليس الصراع العربي – «الإسرائيلي»، وجوهره القضية الفلسطينية، كما هي لاعب ذريه وعادل وحقيقي في تداعيات ما يُسمّى «الربيع العربي»، وثورها الحقيقي والفاعل والمتصاعد في الحدث السوري، للحفاظ على الدولة السورية وعلى الأمن والسلام الدوليين.

أساس الإفادة من الصعوبات التي تعانيها الولايات المتحدة في العراق وأفغانستان وسورية ولبنان واليمن وإيران، ما يمنحها صك تواصل وافتتاح على تلك الأطراف التي لا تتعامل معها واشنطن، إذ تفيد موسكو وتوظف بؤر النزعات والملفات الساخنة لإسماع صوت مختلف عن الصوت الأميركي والغربي عامة، ما يجعلها مسوعة ومقبولة لدى الجانب العربي لوقوفه إلى جانب حقوقه المشروعة، وأقلا لإقامة دولته على الأراضي المحتلة لعام 1967 وعودة القدس الشرقية لتكون عاصمة تك الدولة وعودة اللاجئين والنازحين إليها، فورسيا اليوم لاعب ذريه وحقيقي وعادل في كواليس الصراع العربي – «الإسرائيلي»، وجوهره القضية الفلسطينية، كما هي لاعب ذريه وعادل وحقيقي في تداعيات ما يُسمّى «الربيع العربي»، وثورها الحقيقي والفاعل والمتصاعد في الحدث السوري، للحفاظ على الدولة السورية وعلى الأمن والسلام الدوليين.

تقول المعطيات النظرية في علم العلالات الدولية إنّ التوازن الإقليمي مرتبط دوماً بالتوازن الدولي وتتنزل هذه الحقيقة إلى الواقع الميداني، فقد كان التوازن الإقليمي الخاص بمنطقة الشرق الأوسط مرتبطاً بالتوازن الدولي الخاص بنظام القطبية الثنائية خلال فترة وجود القوتين العظميين (الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي السابق). لكن بعد انهيار القطبية الثنائية وانفراد واشنطن بالرعاة محاولة الهيمنة على النظام الدولي، بدا واضحا أنّ منطقة الشرق الأوسط ستشهد على أساس اعتبارات التوازن الدولي حدوث فراغ في الميزان الأممي بسبب غياب القوّة السوفياتية التي انهارت وعدم تقدم روسيا إلى الصين لملء الفراغ في الميزان الدولي، بصعود قوّة «إسرائيل»، في ميزان القوى الإقليمي، وهبوط قوّة الأطراف العربية في ميزان القوى الإقليمي، مع الأخذ في الاعتبار حالة انقسام سادات في المنطقة العربية، فأكدا ما يسمى «بمحور الاعتدال» في المنطقة – الذي انهار تماماً – على ضرورة المضي قدما في القبول بالفوضى الأميركية وتقديم التنازلات للمشروع «الإسرائيلي» – الأميركي – الغربي. وعلى الطرف الآخر، أكد ما يُسمّى «بمحور الممانعة» في المنطقة على ضرورة المضي قدما في الاعتماد على الإرادة العربية والقدرة الذاتية ومبادئ العدالة والحقوق المشروعة، كوسيلة لمواجهة المشروع «الإسرائيلي» – الأميركي – الغربي في المنطقة الشرق الأوسطية.

رسائل جديدة

إن جهود روسيا الفدرالية بمواقفها المختلفة إزاء الحدث السوري وإزاء إيران وبرنامجهما النووي وسلمها وإزاء الدور التركي المتلون والملفات الأخرى كافة في المنطقة والملف الأوكراني، بما فيها ملف التسوية السياسية... تمثل جهود روسيا الاستراتيجية والتكتيكية هذه رسائل جديدة تحمل الإشارات الآتية:

آراء